الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

شرح أصول الكافي

تأليف

المولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ

مع التعليقات القيمة

للميرزا أبو الحسن الشعراني

المتضمن لكتاب

الكافي في الأصول والروضات

الطبعة الثانية المصححة والمنقحة

تحقيق

السيد علي عاشور

الجزء السابع

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

فهرس المطالب

باب
مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه

*** الأصل:**

ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستّين سنة، بقي بعد قبض النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهو أوّل هاشميّ ولده هاشم مرّتين[(١)].

*** الشرح:**

قوله (ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل) قال القرطبي هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً وهو أصغر ولد أبي طالب جعفر وعقيل وطالب وعلي، واتفق الجمهور على أنه أول من أسلم لحديث «**أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب**» وعن علي عليه السلام قال «**عبدت الله تعالىٰ قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بخمس سنين**» وعنه «**ما كان يصلّي مع رسول الله عليه السلام غيري وغير خديجة وخديجة أول من أسلم من النساء**» واختلف في سنه[(٢)] حين أسلم فقيل: خمس سنين، وقيل: ثمان. وقيل: اثنى عشر، وقيل: ثمانية عشر، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله المشاهد كلها إلّا تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله خلّفه مع أهله وقال له: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى**» وزوّجه ابنته فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء أهل الجنة وله من الشجاعة والعلم والحلم والورع وكرم الأخلاق ما لا يسعه كتاب، بويع بالخلافة يوم قتل عثمان واجتمع على بيعته أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار إلّا نفر يسير، وسُئل عنهم فقال:

---

١ ـ الكافي: ١ / ٤٥٢.

(٢) قوله «واختلف في سنّه» تحقيق الحق فيه سهل لأن شهادته في سنة أربعين بالتواتر وهو ابن ثلاث وستين أو أزيد فكان في سنة الهجرة ابن ثلاث وعشرين سنة، وعند بعثة النبي صلى الله عليه وآله ابن عشر سنين، وإن قيل: إنه كان عمره عليه السلام خمساً وستين كانت له عند البعثة اثنتا عشرة ولا عبرة بغير هذين الاحتمالين والعجب أنه لم يذكر العشر وهو الأظهر. فإن قيل كيف يحكم بصحة إيمانه وهو صبي لم يبلغ أوان الحلم؟ قلنا: البلوغ حكم شرعي لا يثبت إلّا بعد ثبوت الشرع والتكليف بالإيمان مقدّم على الإقرار بالشرع وما يترتب عليه من الأحكام فهو تكليف عقلي والتكليف العقلي لا يتوقف على البلوغ الشرعي، وهذا جواب أجاب به المفيد رحمه الله عن إيراد بعض العثمانية في صحة إيمانه ولم يبلغ. (ش)

*** الأصل:**

٣ ـ بعضُ أصحابنا، عمّن ذكره، عن ابن محبوب، عن عمر بن أبان الكلبي، عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **لمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين إلىٰ أبي طالب ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجّبين من هذا، إنّك تحبلين وتلدين بوصيّه ووزيره**[١].

*** الشرح:**

قوله (بياض فارس) نسب البياض إلىٰ فارس لبياض ألوانهم؛ أو لأنّ الغالب على أموالهم الفضّة، أو لكون أكثر مواضعها في ذلك العصر خالياً عن الغرس والزرع، فإن الخراب من الأرض يتصف بالبياض والأبيض كما أن المعمور يتّصف بالسواد والأسود.

قوله (وتتعجبين من هذا) تعجبها من ولادته حين شاهدت ما جرى من خوارق العادات ومحاسن الحالات مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت لعظم موقعها عندها وخفاء سببها عليها وغرابتها لديها فتلقاها زوجها أبو طالب عليه السلام بأن ذلك ليس محل تعجب وموضع استغراب من مهبط المعجزات ومحل الكرامات ومعدن السعادات ومظهر الرسالات ثم بشّرها بأنك تحبلين وتلدين بعد ثلاثين سنة كما في خبر آخر بوصيه ووزيره ومتكفّل أموره ومتحمّل شريعته وهذا دل على كمال أبي طالب وعلمه بالغيب لأنه أخبر بما يقع وقد وقع كما أخبر.

*** الأصل:**

٤ ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن البرقي. عن أحمد بن زيد النيسابوري قال: حدّثني عمر بن إبراهيم الهاشمي، عن عبد الملك بن عمر، عن أُسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وجاء رجلٌ باكياً وهو مسرعٌ مسترجع وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوّة حتّى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: رحمك الله يا أبا الحسن كنت أوّل القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم يقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم عناء وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وآمنهم على أصحابه وأفضلهم مناقب وأكرمهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً، قويت حين ضعف أصحابه وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا ولزمت منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله إذ همّ أصحابه، [و] كنت خليفته حقّاً، لم تنازع

---

١ ـ الكافي: ١ / ٤٥٢.

ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وصغر الفاسقين، فقمت بالأمر حين فشلوا ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم قنوتاً وأقلّهم كلاماً وأصوبهم نطقاً وأكبرهم رأياً وأشجعهم قلباً وأشدّهم يقيناً وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور.

كنت والله يعسوباً للدّين أولاً وآخراً الأوّل حين تفرّق الناس والآخر حين فشلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ورعيت ما أهملوا وشمّرت إذ اجتمعوا وعلوت إذ هلعوا وصبرت إذ أسرعوا وأدركت أوتار ما طلبوا ونالوا بك مالم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذاباً صبّاً ونهباً وللمؤمنين عمداً وحصناً، فطرت والله بنعمائها وفزت بحبائها وأحرزت سوابقها وذهبت بفضائلها، لم تفلل حجتّك ولم يزغ قلبك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ولم تخرّ، كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، وكنت كما قال: أمن النّاس في صحبتك، وذات يدك، وكنت كما قال: ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين.

لم يكن لأحد فيك مهمزٌ، ولا لقائل فيك مغمزٌ [ولا لأحد فيك مطمعٌ] ولا لأحد عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قويٌ عزيزٌ حتّى تأخذ له بحقّه، والقويُّ العزيز عندك ضعيفٌ ذليلٌ حتّى تأخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحقُّ والصدقُ والرّفق وقولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج السبيلُ وسهل العسيرُ وأُطفئت النيران واعتدل بك الدّين وقوي بك الإسلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرين وثبت بك الإسلام والمؤمنون وسبقت سبقاً بعيداً وأتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء وعظمت رزيّتك في السّماء وهدّت مصيبتك الأنام، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وسلّمنا لله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً، كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وقنّة راسياً وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه ولا أحرمنا أجرك ولا أضلّنا بعدك. وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى وبكى أصحاب رسول الله ﷺ ثمّ طلبوه فلم يصادفوه.

❁ الشرح:

قوله (ارتج الموضع بالبكاء) الارتجاج الاضطراب والحركة.

قوله (وجاء رجل) يفهم من كلام الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة أن ذلك الرجل هو الخضر عليه السلام. «مسترجع» سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون فقال: **إن قولنا إنا لله، إقرار على أنفسنا بالملك. وإنا إليه راجعون، إقرار على أنفسنا بالهلك.**

أقول: فيه اعتراف بأنه مبدىء كل شيء ومرجعه وهو احرى كلمة يقال في مقام التسليم والرضا بقضاء الله وحمل النفس على النوائب وصبرها على المصائب.

قوله (انقطعت خلافة النبوة) أي خلافتها الظاهرة وهو كما قال لأنَّ تلك الخلافة بعده ﷺ وقعت في أيدي ائمة الجور وبطلت السنة وعطلت الشريعة.

قوله (كنت أول القوم إسلاماً) هذا مما اتفقت الأُمة عليه ولا عبرة بمخالفة شاذ من النواصب. قال الآبي في كتاب إكمال الإكمال وهو من أعاظم علمائهم: واتفق الجمهور على أن علياً عليه السلام أول من أسلم لحديث: «**أولكم وارداً علي الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب** عليه السلام» وعن علي عليه السلام قال «**عبدت الله تعالىٰ قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بخمس سنين**» وعنه «**ما كان يصلي مع رسول الله ﷺ غيري وغير خديجة**».

قوله (وأخلصهم إيماناً) الإيمان الخالص بوصف الزيادة هو الذي لا يطلب به غير وجه الله تعالىٰ أو الذي بلغ غاية الكمال ولا يبلغها إلّا بالتخلي عن جميع الرذائل والتحلي بجميع الفضائل وتهذيب الظاهر عن الأفعال القبيحة وتزيينها بالأعمال الحسنة وليس المتصف به غير علي بن أبي طالب عليه السلام اتفاقاً.

قوله (وأشدهم يقيناً) وهو نوع من الإدراك مطابق للواقع غير محتمل للنقيض ويتفاوت ذلك في الشدة والضياء حتى يصير المعلوم كأنه مشاهد كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً**» والتفاوت ليس باعتبار الطباق بل باعتبار طهارة النفس وكمالها في القوة النظرية والعملية.

قوله (وأخوفهم لله) لأنَّ مراتب الخوف متفاوتة باعتبار تفاوت مراتب العلم كما يشعر به قوله تعالىٰ: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ وهو عليه السلام أعلم الأُمة اتفاقاً فهو أخوفهم.

قوله (وأعظمهم عناء) كمال عنائه وفضله في الرياضات والعبادات والمجاهدات مع النفس والأعداء بحيث لا يدانيه أحد مشهور بين العامة والخاصة.

قوله (وأحوطهم على رسول الله ﷺ) حاطه يحوطه حوطاً وحياطة إذا حفظه وصانه وذب عنه وتوفر على مصالحه وكل ذلك كان له عليه السلام على وجه الكمال بالنسبة إلىٰ النبي ﷺ حتى إنه كان ترسه في جميع النوائب ووقايته في جميع المكاره.

قوله (وآمنهم على أصحابه) كان عليه السلام أمين الله على عباده وأمين رسول الله على أُمته وزيادة اتصافه بهذه الصفة على غيره كائناً من كان أمر لا ينكره إلّا النواصب.

قوله (وأفضلهم مناقب) قد اتفق عليه العامة والخاصة ولا ينكره عدوه قال الآبي: ذكر ابن عبد